بسم الله الرحمن الرحيم

الهَدْيُ النَّبَوِيُّ فِي بِنَاءِ المُجْتَمَعِ القِيَمِيّ

الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالاجْتِمَاعِ عَلَى الخَيْرِ مَعَ الأَهْلِ وَالأَحْبَابِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ مَنْ جَالَسَ النَّاسَ فَأَحْسَنَ الخِطَابَ، وَأَفْضَلُ مَنْ نَصَحَ وَأَرْشَدَ فَأَصَابَ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَالأَصْحَابِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ –عِبَادَ اللَّهِ–، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللِّقَاءَاتِ الإِنْسَانِيَّةَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبْنَى بِهِ المُجْتَمَعُ، وَأَنْمى مَا يُزْرَعُ فِيهِ الخَيْرُ، وَتُحْفَظُ بِهِ الْأَخْلَاقُ، وَقَدْ أَمَرَ رَبُّنَا جَلَّ شَأْنُهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِمُجَالَسَةِ الفُضَلاءِ أَهْلِ الصَّلاح، فَقَالَ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[1].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ أَوْلَى النَّبِيُّ ﷺ لِقَاءَاتِهِ بِالنَّاسِ عِنَايَةً عَظِيمَةً، لِمَا فِيهَا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَكَانَتْ تِلْكَ اللِّقَاءَاتُ مَدْرَسَةً يَتَلَقَّى فِيهَا الصَّحَابَةُ العِلْمَ وَالأَدَبَ وَالإِيمَانَ، وَلَمْ يَتْرُكوا رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فُرْصَةً يَلْتَقُونَ فِيهَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا اسْتَغَلُّوهَا أَحْسَنَ اسْتِغْلالٍ، فَيَجْلِسُونَ مَعَهُ ﷺ فِي المَسْجِدِ وَفِي البُيُوتِ أَوْ خَارِجَهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ الكَرِيمُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالتَّكْرِيمِ يُذَكِّرُهُمْ بِاللَّهِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ، وَيُرَبِّيهِمْ عَلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَلا عَجَبَ أَنْ تَكُونَ تِلْكُمُ الحِلَقُ الإِيمَانِيَّةُ سَبَبًا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَنُزُولِ سَكِينَتِهِ عَلَى المُؤْمِنِينَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)).

(١) الكهف: ٢٨

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

لَقَدْ حَثَّنَا الإِسْلامُ عَلَى أَنْ تَكُونَ لِقَاءَاتُنَا عَامِرَةً بِذِكْرِ اللَّهِ، بَعِيدَةً عَنْ كُلِّ مَا يُسْخِطُهُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا، فَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ كُلِّ مَا يَصْدُرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ يَقُولُ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[2]، وَهُنَا يَأْتِي تَحْذِيرُ الشَّرْعِ الحَنِيفِ مِنْ أَنْ يَقَعَ المُسْلِمُونَ فِي أُمُورٍ يَنْبَغِي لَهُمْ تَجَنُّبُهَا فِي اجْتِمَاعَاتِهِمْ، كَسُوءِ الظَّنِّ، وَالغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، فَاللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]، فَالغِيبَةُ آفَةُ العَلَاقَاتِ، وَمُفْسِدَةُ الْمَوَدَّاتِ، فَهِيَ مِنْ أَسْرَعِ الطُّرُقِ إِلَى هَدْمِ الأُخُوَّةِ وَإِثَارَةِ العَدَاوَةِ.

عِبَادَ اللهِ:

يَجْدُرُ بِالمَرْءِ وَهُوَ يَقْتَدِي بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ النَّاسِ، أَنْ يَلْتَزِمَ بِالصِّدْقِ فِي الحِوَارِ، وَأَنْ يَتَجَنَّبَ الكَذِبَ وَاللَّغْوَ وَتَرْوِيجَ الإِشَاعَاتِ، وَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ))، وَمِمَّا يُجَمِّلُ المُؤْمِنَ تَحَلِّيهِ بِالتَّوَاضُعِ أَمَامَ إِخْوَانِهِ، فَلا يَتَعَالَى وَلا يَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالغُرُورِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضَ صَوْتَهُ، وَأَحْسَنَ حِوَارَهُ، وَتَلَطَّفَ فِي خِطَابِهِ، وَقَدْ أَمَرَ رَبُّنَا جَلَّ شَأْنُهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[4].

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَتَذَكَّرُوا أَنَّ الأَدَبَ فِي التَّعَامُلِ يَرْفَعُ شَأْنَ أَصْحَابِهِ، أَمَّا الصَّخَبُ وَالخِصَامُ فَيُذْهِبُ البَرَكَةَ كُلَّهَا، وَاللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ يَقُولُ: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[5].

---

(١) الأنعام: ٦٨
(٢) الإسراء: ٣٦
(٣) الحجرات: ١٢
(٤) لقمان: ١٨ ، ١٩
(٥) الأنفال: ٤٦

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الشَّاكِرُ لِإِحْسَانِهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ كَانَ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي لِقَاءَاتِهِ مَعَ النَّاسِ مَثَلًا أَعْلَى فِي الهِدَايَةِ وَالأَدَبِ، فَكَانَ ﷺ إِذَا جَلَسَ مَعَ أَصْحَابِهِ يُقْبِلُ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، وَيُشْرِكُ الجَمِيعَ فِي الحَدِيثِ، فَيَسْمَعُ الصَّغِيرَ وَالكَبِيرَ، وَيُرَبِّي أَصْحَابَهُ عَلَى الأَدَبِ وَالحِكْمَةِ، وَلَمْ يَكُنْ ﷺ فَظًّا فِي القَوْلِ وَلا غَلِيظًا فِي الطَّبْعِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لَهُ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1]، وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ أَنَّهُ يُعَلِّمُهُمْ وَلا يُثْقِلُ عَلَيْهِمْ، وَيَتَعَهَّدُهُمْ بِالمَوَاعِظِ لِيَشْتَاقُوا إِلَى العِلْمِ، وَعَلَى هَذَا نَهَجَ أَصْحَابُهُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يُذَاكِرُ النَّاسَ العِلْمَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ: "لَوَدِدتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا". وَكَانَ يُجَالِسُ أَصْحَابَهُ بِالحِلْمِ وَالْحَيَاءِ، وَيُرَبِّيهِمْ عَلَى السَّكِينَةِ وَالوَقَارِ، فَلا صَخَبَ وَلا رَفْعَ لِلأَصْوَاتِ، يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَلْنَقْتَدِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَلْنَجْعَلْ لِقَاءَاتِنَا مَنَابِرَ لِلذِّكْرِ، وَمَيَادِينَ لِلْعِلْمِ، وَمَحَاضِنَ لِلْقِيَمِ، وَلْنَتَجَنَّبْ كُلَّ مَا يُفْسِدُهَا مِنْ لَغْوٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَلْيَكُنْ شِعَارُنَا قَوْلَ رَسُولِنَا الكَرِيمِ ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)).

(١) آل عمران: ١٥٩
(٢) الحجرات: ٣

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إمَامِ المُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، ونَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، ونَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وأَلْسِنةً صَادِقةً، ونَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(١) الأحزاب: ٥٦